[75] ثم قال: أيها الناس إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه ا الذلة، وشمله البلاء، وضرب بالصغار، هذا عامل معاوية قد أغار على الأنبار، فقتل بها عاملي ابن حسان، ورجالا " كثيرا "، وانتهكت بها حرم من النساء، فقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة، فينتزع خلخالها ورعاثها (1) لا تمتنع منه إلا بالاسترحام والاسترجاع، ثم انصرفوا لم يكلم أحد منهم، فوا لو أن امرء مات من دون هذا أسفا " ما كان عندي ملوما "، بل كان عندي جديرا "، يا عجبا "، عجبت لبث القلوب، وتشعب الآراء من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم حتى صرتم غرضا " (2) ترمون ولا ترمون، وتغزون ولا تغزون، ويغار عليكم ولا تغيرون، ويعصى ا وترضون. إذا قلت لكم: اغزوهم في البرد، قلتم: هذه أيام صروقر. وإذا قلت لكم: اغزوهم في الحر، قلتم: هذه حمارة القيظ (3)، امهلنا حتى ينسلخ الحر. فأنتم من الحر والبرد تفرون ولأنتم وا من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طغام الأحلام، ويا عقول ربات الحجال، قد ملاتم قلبي غيظا " بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن علي بن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، ومن منهم أعلم بالحرب مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وأنا الآن قد عاقبت الستين، لكن لا رأي لمن لا يطاع، كم أمرتكم أن تغزوهم قبل أن يغزوكم، وقلت لكم: إنه لم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فما قبلتم أمري، ولا استجبتم لي، أبدلني ا بكم

_____ (1) الرعاث: جمع رعثة أي الرعثة القرط. (2) غرضا ": هدفا ". (3) حمارة القيظ: شدة الحر. [*]

_____